دوافع التجديد في التفســـــير القــرآني

أ.فـــــرج عُمر عبد القادر الحــويج ـ كلية العلوم الشرعية زاوية المحجوب
طالب دكتوراه بجامعة الزاوية
الجامعة الأسمرية الإسلامية
f.alhwaij@asmarya.edu.ly

Motives for renewal in Qur'anic interpretation

Stady Abstract

This research, entitled "Motives for Renewal in Qur'anic Interpretation" sheds light on the real reasons that drive interpreters to renew their interpretation of the Book of Allah, the conditions for renewal and the conditions for interpreters, the controls of this renewal, and the most important motives for it, as well as the opinions of scholars on renewal and examples of modern innovators in Quranic interpretation.

The problem with studying renewal in Quranic interpretation is that there are motives behind this renewal, and it is these motives that enable us to distinguish between true renewal and deviation from Islamic principles. The research aims to identify the correct concept of renewal in Quranic interpretation, the conditions for renewal and the conditions for the interpreter, and to examine the statements of scholars on renewal, highlighting the most important motives for renewal in interpretation and identifying the most important trends in renewal in interpretation in the modern era. The methodology used in this research is descriptive and analytical One of the most important findings of this study is that renewal does not mean losing sight of the true interpretation and destroying the old under the pretext of renewal. Therefore, it was necessary to establish controls and precautions for dealing with the Book of Allah, given its sanctity and greatness, and that renewal does not in fact mean changing.

The facts of religion, nor does it mean distorting or fabricating the texts of the Sharia, nor does it mean introducing something new into religion or innovating in it. Rather, it means knowing what is constant and what is changeable, and applying them to different situations, taking into account the circumstances and the need of Islamic societies for correct and disciplined renewal, which is a requirement in all sciences, and especially in

Sharia sciences and Quranic studies, especially Qur'anic exegesis, given the apparent shortcomings in the religiosity of many people, whether due to laxity or extremism in religion, which is contrary to renewal. The innovator in exegesis must also be familiar with the principles and rules of exegesis, and must interpret the meanings of the verses as they were used at the time of their revelation and by the early generations, and beware of the influence of distorted concepts, so that they can know the areas of renewal, its limits and controls, as well as the necessity of understanding contemporary sciences, which play an important role in effectively advancing the wheel of renewal because it leads to the development of thought and renewal, and improves the understanding and interpretation of the innovators.
Keywords: Renewal, interpretation, motives, conditions, controls.

الملخَّـــصُ:

هذا البحث الموسوم بـ: (دوافع التجديد في التفسير القرآني) يسلط الضوء على الأسباب الحقيقية التي تدفع المفسرين إلى التجديد في تفسير كتاب الله تعالى، ومعرفة شروط التجديد وشروط المفسر، وضوابط هذا التجديد، والوقوف على أهم بواعثه، وأقوال العلماء في التجديد، والوقوف على نماذج من المجددين المحدثين في التفسير القرآني. وتتمثل مشكلة البحث في: أن الدارس للتجديد في التفسير القرآني يجد أن وراءه دوافع محركة لهذا التجديد، وهذه البواعث هي التي تمكن من التمييز بين التجديد الحقيقي، والانحراف عن المبادئ الإسلامية. ويهدف البحث إلى: الوقوف على مفهوم التجديد الصحيح في التفسير القرآني، والوقوف على شروط التجديد وشروط المفسر، والتعرض لأقوال العلماء حول التجديد مع تسليط الضوء على أهم بواعث التجديد في التفسير، والوقوف على أهم اتجاهات التجديد في التفسير في العصر الحديث، وأما المنهج المتبع في عرض هذا البحث: يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي. وكان من أهم نتائج هذه الدراســة: أنَّ التجديد لا يراد به التضييع لمعالم التفسير الحقيقي وهدم القديم، بدعوى التجديد؛ لذا كان من الضرورة وضع الضوابط والاحترازات؛ للتعامل مع كتاب الله تعالى لما له من خصوصية التقديس والتعظيم. وأن التجديد في الحقيقة لا يعني تغيير حقائق الدِّين، ولا يعني الإتيان على نصوص الشرع بالتحريف والوضع، ولا يعني الإتيان بالجديد في الدِّين ولا الابتداع فيه، بل يكون بمعرفة الثابت والمتغير، وتنزيل أحوالهما، مع مراعاة الأحوال فيه. وكذلك حاجة المجتمعات الإسلامية إلى التجديد الصحيح المنضبط، وهو مطلب في كل

العلوم، وأولى به العلوم الشرعية والدراسات القرآنية، وبخاصة التفسير القرآني، لما يلاحظ من مظاهر الخلل في تديُّن كثيرٍ من النَّاس، سواء كان بالتساهل في الدِّين أو التشدُّد فيه، وهذا بخلاف التجديد. كما يجب على المجدد في التفسير أن يكون ملمًّا بأصول التفسير وقواعده، وأن يحرر معاني الآيات المستعملة في عصر نزوله، وعند السلف، وأن يحذر من تأثير المفاهيم المحرفة؛ ليتمكن من معرفة مجالات التجديد وحدوده وضوابطه. وكذا ضرورة إدراك العلوم المعاصرة، حيث تلعب دورا مهما في دفع عجلة التجديد إلى الأمام وبشكل فعال؛ لأنه يؤدي إلى تطوير الفكر والتجديد، وتحسين الفهم والتفسير لدى المجددين.

الكلمات المفتاحية: التجديد، التفسير، الدوافع، الشروط، الضوابط.

المقدمة :

اقتضت حكمة الله أن تختتم الرسالات والأديان بسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم الرسل وآخرهم، وكان من رحمته أن يفتح باب التجديد؛ ليصل المجددون الحبل، ويحيوا ما اندرس من أمر الدين، فحين أُغلق بابُ النبوة فُتِح باب التجديد والاجتهاد لهذه الأمة الممتدة في شعاب الزمن الباقية إلى يوم القيامة. فقد جاءت البشارة العظيمة في الخبر الصحيح من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: **(إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)**(1) كما أشار القرآن الكريم إلى سنة التجديد بقوله - تعالى- : ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ (2) وقال – تعالى:- ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أَمْثَٰلَكُمْ** ﴾ (3) ، وقال - سبحانه - : ﴿**وَلَوْلَا دِفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ**﴾ (4) ذلك لأن الإنسان يظل في تطور مستمر، وأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، فمع ظهور التحديات الجديدة، أصبح من الضروري التجديد في التفسير القرآني؛ ليواكب التغيرات، ويحافظ على جوهر الدين، فما هو إلا إعادة النظر في المفاهيم والتفسيرات التقليدية، وإتاحة تفسيرات جديدة مبتكرة، تتناسب مع احتياجات العصر.

إشكالية البحث:

الدراس للتجديد في التفسير القرآني يجد أن وراءه دوافع محركة لهذا التجديد، وهذه البواعث هي التي تمكن من التمييز بين التجديد الحقيقي، والانحراف عن المبادئ الإسلامية.

تساؤلات البحث:

س1- ما مفهوم التجديد في التفسير القرآني؟ وما شروط المفسر؟
س2- ما أهم بواعث وضوابط التجديد في التفسير القرآني؟
س3- ما أقوال العلماء في التجديد في التفسير القرآني؟
س4- ما أهم اتجاهات التجديد في التفسير في العصر الحديث؟

أهداف البحث:

1- الوقوف على مفهوم التجديد الصحيح في التفسير القرآني.
2- الوقوف على شروط التجديد وشروط المفسر.
3- التعرض لأقوال العلماء حول التجديد.
4- تسليط الضوء على أهم بواعث التجديد في التفسير، والوقوف على أهم اتجاهات التجديد في التفسير في العصر الحديث.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذا البحث إلى فهم المعنى الصحيح المراد من التجديد، ومعرفة الدوافع الحقيقية وراء هذا التجديد، التي تدفع المفسرين إلى تجديد تفسيرهم، وتحسين فهم القرآن الكريم، استجابة للتحديات المعاصرة، وإسهاما في تعزيز الحوار، وتقديم رؤية شمولية للتجديد في للتفسير القرآني.

منهجية البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

خطة الدراسة:

قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة ومبحثين، فحوت المقدمة على: إشكالية الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، ومنهجية البحث. المبحث الأول: التجديد في التفسير القرآني، ويحوي ثلاثة مطالب، المطلب الأول: مفهوم التجديد في التفسير، المطلب الثاني: شروط التجديد وشروط المجدد، المطلب الثالث: ضوابط التجديد في التفسير. المبحث الثاني: دوافع التجديد في التفسير القرآني، ويحوي ثلاثة مطالب: المطلب الأول: بواعث التجديد في التفسير القرآني، المطلب الثاني: أقوال العلماء في التجديد، المطلب الثالث: أهم اتجاهات التجديد في التفسير في العصر الحديث. وخاتمة حوت: نتائج البحث.

المبحث الأول ـ التجديد في التفسير القرآني

المطلب الأول ـ مفهوم التجديد في التفسير:

الباحث في الحديث المتعلق بمفهوم التجديد يرى إطباق الأمة على تصديقه مما يتكون لديه علم يقيني لا شك فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال هذا الحديث ونطق به.

ومن ثم إنّ تجديد الدين هو أحد المصطلحات الإسلامية، وهذه المصطلحات الإسلامية هي كلمات عربية الأصل، استعملت في القرآن الكريم، أو في السُّنَّة المظهّرة، أو عند العلماء إما في نفس معناها اللغوي، أو أُعطيت معنى خاصًا قوي الصلة بمعناها اللغوي.

التجديد في أصله اللُّغـــوي: مأخوذ من جدَّد الشيءَ، وتجدَّد الشيءُ، إذا صيَّره جديداً أو صار جديداً. والتجديد فيه طلب واستدعاء، إذ التاء للطلب، فيكون تجديد الشيءِ يعني طلب جِدَّتِه بالسعي والتوسّل إلى ما يجعله جديداً. والجديد نقيض الخَلَق والبِلى، وضدّ القديم بمعنييه ـ القديم زماناً، والقديم بقاءً، وهو التقادم ـ، فيُقال: بلي بيت فلان ثمّ أجَدَّ بيتاً مِنْ شَعْر، ويُقال لليل والنهار: الجديدان، لأنهما لا يبليان أبداً[5]

ومن معاني التجديد في أصل اللُّغة: التعظيم والإجلال، ومنه قوله ـ تعالى- : ﴿ **وَإِنَّهُ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا**﴾ [6] ، أي : فعله وأمره وقدرته، وقيل آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه[7] ومن معانيه كذلك الوسطية، ويقولون: جادّة الطريق أي سواء الطريق ووسطه.

ومن هنا ندرك أنَّ التجديد لا يعني بحال الإتيان بجديد منقطع عما كان عليه الأمر أولاً، ولكن يعني: أنَّ الشيء المجدَّد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً، وللناس به عهد، وأنَّه أتت عليه الأيام، فأصابه البِلَى وصار قديماً خَلِقاً، وأنَّ ذلك الشيء قد أُعيد إلى مثل الحالة الأولى التي كان عليها قبل أن يبلى[8]

التجديد اصطلاحا: هو ما لم يكن تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية؛ لتلائم أوضاع الناس وأهوائهم، ولكنه تغيير للمفاهيم المترسبة، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين[9]

فالتجديد بمعناه الاصطلاحي أو الشرعي أي ما كان مقترنا بالشريعة الإسلامية والدين الإسلامي- هو: إحياء وبعث ما اندرس منه -أي الإسلام-، وتخليصه من البدع والمحدثات التي أضيفت له، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها، فعلى هذا المعنى فإن التجديد لا يقع على ذات الدين، وإنما يقع على علاقة الأمة بالدين ومدى الانضباط به والتفاعل معه[10]

إنّ التجديد مرتبط بمعناه اللغوي، مع ما تقتضيه طبيعة الإضافة إلى الشرع من مدلول خاص ومعنى جديد. مما أدى إلى تنوع عبارات العلماء في تعريف التجديد، وتعددت صيغهم؛ لكنها لم تخرج عن ثلاثة محاور:

الأول: إحياء ما انطمس من معالم السنن ونشرها بين الناس، وحمل الناس على العمل بها، ومعنى التجديد: هو إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاها، وإنما كان دور المجدد فيه: بأنه يجدد ما اندثر من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة[11]

الثانـــــي: قمع البدع والمحدثات، وتعرية أهلها وإعلان الحرب عليهم، وتنقية الإسلام مما علق عليه من أوضار الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام: يقول المناوي: يجدد لها دينها : أي: يبين السنة من البدعة، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم[12]

وعرفه عبد العظيم آبادي: التجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات[13]

الثالث: تنزيل الأحكام الشرعية على ما جد من وقائع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي: في هذا يقول عبد الفتاح إبراهيم: التجديد: يعني العودة إلى المتروك من الدين، وتذكير الناس بما نسوه، وربط ما يجد في حياة الناس من أمور، بمنظور الدين لها لا بمنظارها للدين[14]

ويظهر معنى التجديد الاصطلاحي أكثر بتعريف أبي الأعلى المودودي إذ يرى أنَّ المجدِّد هو: كل من أراد إحياء معالم الدِّين، بعد اندراسها، وقام بتجديد حبله بعد انتقاضه[15]

التجديد في التفسير: أما التجديد في التفسير فهو: استلهام النص القرآني؛ من أجل إدراك كل معطياته التي ترسم من خلال كتاب الله تعالى كل المثل العليا للمسلم في حياته، وعلاقته بالمجتمع، والاستجابة لمتطلباته في الحياة المعاصرة، ومن ثم النهوض بالمجتمع المسلم. حيث يرى الشوكاني أن علم التفسير لكلام الله تعالى أشرف العلوم على الإطلاق، وأرفعها قدرا بالاتفاق، وأحقها بالتفضيل على الاستحقاق، شرط أن يكون على الوجه المعتبر في الورود والصدر، وأن لا يكون مشوبا بشيء من التفسير بالرأي المذموم، الذي هو من أعظم الخطر[16]

وعرف التجديد في التفسير اصطلاحا بأنه: تجديد الفهم لكتاب الله تعالى على ضوء

واقع المسلمين المعاصر وفق قواعد التفسير[17] ، كما عرف بأنه: مواكبة التفسير لحاجات العصر وإصلاحها بحيث لا يغدو التفسير حبيس الأوراق والكتب، وإنما ينطلق لإصلاح واقع الناس، وتلبية حاجاتهم الدينية والنفسية[18]

وليس القصد أن نأتي بتفسير جديد لم يسبق إليه أحد، بحيث يترتب على ذلك إلغاء كل التفسير الأول لكتاب الله تعالى، فحينئذ يكون هدم لكل ما بناه السابقون من علماء سلف الأمة بلا داعية لذلك، ولكن القصد أن يتجاوز التفسير حدوده النظرية، وأن لا يظل حبيس الكتب، وذلك بأن يتحول إلى واقع عملي؛ لإصلاح واقع الناس، وتلبية حاجاتهم الدينية والنفسية.

إذن فالمفهوم الصحيح للتّجديد في علم التّفسير: هو إعادة إحياء التفسير على أُسُسِه وقواعده الصحيحة، مع تجنيب الناس لكل عوامل الانحراف في فهم كلام الله تعالى، ويكون ذلك بتنقية كتب التفسير من الإسرائيليات والخرافات والأباطيل التي ليس لها أصلٌ تستند إليه.

المطلب الثاني ـ شروط التجديد وشروط المفسر:

شروط التجديد: اختلف العلماء المسلمون في تحديد من هو المجدد في كل قرن، فيرى ابن كثير أنه قد ادعى كل قوم التجديد في إمامهم، ورأوا أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر -والعلم لله تعالى- أن لفظ المجدد يعم حملة العلم من كل طائفة، ومن كل صنف من أصناف العلماء، سواء كانوا مفسرين، أو محدثين، أو فقهاء، أو نحاة، أو لغويين، إلى غير ذلك من جميع أصناف العلوم[19]

وحتى عندما ذكر أحمد بن حنبل جازماً أن المجددين في المائة الأولى والثانية هما: عمر بن عبد العزيز والشافعي، تجاسر العلماء من بعده إلى إضفاء صفة المجدد على من رأوه أهلاً لذلك [20] فيجب تحديد ضوابط ومقاييس لمعرفة المجدد، حتى لا يطلق على كل أحد القول أنه مجدد.

يشترط في المجدّد أن تتوفر فيه عدّة شروط؛ حتى يكون تجديده صحيحاً، ومن هذه الشروط:

1- أن يكون اجتهاده في علوم الشريعة الإسلامية، وأن يكون عالماً بآيات وأحاديث الأحكام، لأجل أن يفهم المجدد كليات الدين، وأن يرسم طريقاً لإدخال التغيير والتعديل على صورة التمدن القديمة المتوارثة، مما يضمن للشريعة السمحاء سلامة روحها، وتحقيقا لمقاصدها (21)

2- أن يكون واسع الاطلاع على مقاصد الشريعة الإسلامية؛ لأن فهم نصوص الشريعة وتطبيقاتها الواقعية متوقف على فهم مقاصدها؛ لأنها تضيء الطريق للتطبيق الصحيح [22]

3- أن يكون له تأثير إيجابي واسع النطاق على مجتمعه، ويشمل نفعه جميع الأفراد في زمانه؛ ليبقى تأثيره الإصلاحي والتجديدي واضح المعالم في سلوك الناس وأفكارهم [23]

4- أن يكون راسخا في العلوم، وأن يعرف بذكائه وتفوقه العلمي، وأن يكون قادراً على نقدها تلك العلوم وتصحيحها. وأن يكون مجتهداً.

5- أن يعيد للإسلام صورته النقية، ويزيل كل الانحرافات والشوائب التي دخلت عليه، ويرده إلى مصادره الأصلية -الكتاب والسنة-، بإشاعة العلم ونشر المعرفة بالتدريس والتأليف، وتحسين سلوك الناس، وتقويم أخلاقهم في مختلف المجالات.

6- أن يعمّ علمه ونفعه أهل عصره، وأن تكون مؤلّفاته وآثاره مشهورة، وأن تكون جهوده الإصلاحيّة ذات تأثير، ومن المعايير لمعرفة تأثير المجدّد ما يتركه خلفه من أصحاب وتلاميذ ينشرون آراءه، ويوسّعون دائرة الانتفاع بمصنّفاته وأعماله الإصلاحيّة، وأن لا ينتهي أثره بنهاية حياته[24]

ولقد جمع السّيوطي آراء العلماء في أرجوزته حول شروط المجدّد بقوله:

وَالشَّرْط فِي ذَلِكَ أَنْ تَمْضِي الْمِـائَة ... وَهُوَ عَلَى حَيَاته بَيْن الْفِئَـــــة
يُشَار بِالْعِلْمِ إِلَى مَقَامـــــــــه ... وَيَنْصُر السُّنَّة فِي كَلَامـــــــــه
وَأَنْ يَكُون جَامِعًا لِكُلّ فَـــــــنّ ... وَأَنْ يَعُمّ عِلْمه أَهْل الزَّمَـــــن
وَأَنْ يَكُون فِي حَدِيث قَـــدْ رُوِي ... مِنْ أَهْل بَيْت الْمُصْطَفَى وَقَدْ قَوِي
وَكَوْنه فَرْدًا هُوَ الْمَشْهُـــــــور ... قَدْ نَطَقَ الْحَدِيث وَالْجُمْهُـــور[25]

شـــــروط المفســـــر[26]:

اشترط العلماء في المفسِّر الذي يريد أن يُفسِّر القرآن برأيه بدون أن يلتزم الوقوف عند حدود المأثور منه فقط، أن يكون مُلِماً بجملة من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يُفسِّر القرآن تفسيراً عقلياً مقبولاً، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسِّر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله بدون علم. وإليك هذه العلوم مفصَّلة، مع توضيح ما لكل علم منها من الأثر في الفهم وإصابة وجه الصواب:

1- علم اللغة: لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

2- علم النحو: لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره.

3- علم الصرف: وبواسطته تُعرف الأبنية والصيغ.
4- الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف باختلافهما، كالمسيح مثلاً، هل هو من السياحة أو من المسح؟
علوم البلاغة الثلاثة:
5- علم المعاني: فيُعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.
6- علم البيان: فيُعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها.
7- علم البديع، يُعرف به وجوه تحسين الكلام.
وهذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسِّر؛ لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يُدرك إلا بهذه العلوم.
8- علم القراءات: إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.
9 - علم أصول الدين: وهو علم الكلام، وبه يستطيع المفسِّر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز، وما يُستحَل، وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات، والمعاد، وما إلى ذلك نظرة صائبة، ولولا ذلك لوقع المفسِّر في ورطات.
10 - علم أصول الفقه: إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر والنهى، وما سوى ذلك من كل ما يرجع إلى هذا العلم.
11 - علم أسباب النزول: إذ أن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية.
12 - علم القصص: لأن معرفة القصة تفصيلاً يعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن.
13 - علم الناسخ والمنسوخ: وبه يعلم المحكوم من غيره. ومَن فقد هذه الناحية، ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال.
14 - الأحاديث المبيِّنة لتفسير المجمل والمبهم، ليستعين بها على توضيح ما يشكل عليه.
15 - **علم الموهبـــــة:** وهو علم يُورثه الله تعالى - لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بقوله - تعالى- : **وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ**(27).

المطلب الثالث ـ ضوابط التجديد في التفســـير ومجالاته:

وضع للتفسير القرآني ضوابط؛ حتى يكون الاحتمال الجديد للمعنى مقبولا [28] نذكر منها:

1- أن يكون المعنى المذكور صحيحاً في نفسه.

2- أن لا يكون مبطلاً قول السلف.

3- أن تحتمله الآية الكريمة.

4- أن لا يقتصر في معنى الآية على هذا الاحتمال الجديد.

5- وأن لا يخالف التفسير الجديد ما صح من المأثور، وأن لا يتناقض مع اللغة، وأن لا يتعارض مع السياق.

وبعد هذا وذاك لو كان التفسير لا يجوز فيه الاجتهاد عبر القرون لكان مما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتركه نهبا للأقاويل. ولا أدل على بطلان القول بمنع قبول التفسير الجديد من مخالفة جميع المفسرين في تفاسيرهم له. فيعلم أن التجديد في التفسير سائر في تاريخ التفسير على مر العصور، مما يسع معه التجديد في زماننا مع تجدد الحاجات المعاصرة، وحاجتنا للبحث عن مستندات شرعية من الكتاب والسنة. لهذا تكمن الحاجة للتجديد من حيث القدرة على إنزال القرآن على المستجدات بأسس علمية رصينة سليمة، بحيث تراعي قدسية القرآن وثوابت الدين، ولا يحصل ذلك إلا بتتبع طريقة السلف في التعامل مع مستجدات عصورهم، وما أحدثوه من أقوال تفسيرية، ففي وقتهم يعد تجديدا، وبأخذنا لطرائقهم يمكننا التجديد في الاستنباط من كتاب الله تعالى، مما يعد دائرة من دوائر البيان[29]

مجالات التجديد في التفسير:

أولا ـ ما لا يقبل التجديد في التفسير:

1- ما استأثر الله بعلمه[30]: قال ابن عباس: "التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ: وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسير لاَ يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره"[31]. بحيث لا يجوز للمفسر أن يخوض فيما استأثر الله تعالى بعلمه، وهو ما يجري مجرى الغيوب؛ لأنها من أسرار الله. وكذلك ما أطلع الله عليه نبيه واختصه به، ومنها ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع، كأسباب النزول، والقراءات، وأمور الحشر والمعاد، وغيرها.

2- **ما انعقد عليه إجماع الأمة[32]:** فلا يجوز للمفسر ولا للمجدد في التفسير ترك أو معارضة ما انعقد عليه إجماع الأمة من قطعيات وثوابت، فالمفسر المجدد من شأنه أن

يحافظ على الثوابت، أو مواطن الإجماع، وأن لا يشذ على عن منهج الأمة كلها، ويحكم بالضلال على الأئمة الراسخين، من علماء الأمة وفقهائها.

ثانيا ـ ما يقع عليه التجديد في التفسير:

1- التجديد في المعاني: يستلزم تجديد الفهم لمعاني ألفاظ كتاب الله تعالى، وهو إرجاه المعنى الخطأ المستفاد من النص، إلى المعنى الصحيح، كما كان جديدا أول مرة، وكأنه لم يطرأ عليه أي تغيير[33]. ومن ثم فإن احتمال النص القرآني لأكثر من معنى أمر يرد في كتاب الله تعالى، وهو أحد الأوجه التي تجعل تفسيره قابلا للتجديد، من مصادرها: ما جاء في التفسير مرفوعا غلى النبي من قول أو فعل أو تقرير، وما له حكم الرفع، كأسباب النزول، وما نقل عن الصحابة مما ليس للاجتهاد واللغة مكان فيه، وكذلك التفسير اللغوي، شريطة أن يكون المعنى صحيحا في نفسه، وأن تحتمله الآية، وأن لا يقتصر في معنى الآية على هذا الاحتمال الجديد، وأن لا يكون مبطلا قول السلف ولا قول السابقين من المفسرين [34]

2- التجديد في الاستنباط: وهذا راجع إلى ديمومة الشريعة الإسلامية، مما يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباطات المستنبطين؛ حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين، وكذا تعويد حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة؛ لأجل أن تكون طبقات علماء الأمة صالحة- في كل زمان- لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، بحيث يكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية [35]

3- التجديد في معالجة واقع الناس: (التفسير الاجتماعي) ذلك لأن القرآن الكريم معين الإصلاح الاجتماعي، ومورده الذي لا ينضب، فما صلحت أنفس العرب إلا بالقرآن، إذ كانوا يتلونه حق تلاوته، في سائر أوقاتهم، فرفع أنفسهم وطهرها من خرافات الوثنية المذلة للنفوس المستعبدة لها، وهذب أخلاقها وأعلى هممها، وأرشدها إلى تسخير هذا الكون الأرضي كله لها، فطلبت ذلك فأرشدها طلبه إلى العلم بسنته تعالى فيه من أسباب القوة والضعف، والغنى والفقر، والعز والذل، فهداها إلى العلوم والفنون والصناعات، فأحيت مواتها، وأبدعت فيها ما لم يسبقها إليه غيرها[36]

4- التفسير على أساس الوحدة الموضوعية [37]: التجديد في هذا الجانب هو تجديد في طريقة العرض، وأما بقية منهجية التفسير فيه فواحدة، وهو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر[38]. فمنه ما يتناول الوحدة الموضوعية في

كل سورة، ومنه ما يتناول ألفاظ القرآن ومعانيها التي جاءت في كتاب الله، ومنها ما يتناول قضية وما يتعلق بها من آيات قرآنية.

5- الكشف عن وجوه الإعجاز القرآن الكريم في العلوم الطبيعية: (التفسير العلمي) لا شك بأن إعجاز القرآن الكريم مستمر على مر العصور، فالقرآن الكريم كتاب معجز للبشرية جمعاء، وهذا الإعجاز مستمر باستمرار العصور؛ لأنه من المحتمل أن يدرك إعجازه العقلاء ولو من غير الأمة العربية؛ بواسطة ترجمة معانيه التشريعية والحكمية والعلمية والأخلاقية، ويعد دليلا تفصيليا لأهل تلك المعاني، ويكون دليلا إجماليا لمن تبلغه شهادتهم بذلك[39].

المبحث الثالث ـ دوافع التجديد في التفسير القرآني:

المطلب الأول ـ بواعث التجديد في التفسير القرآني:

مما تبين أن التجديد في التفسير يعدُّ مطلبا شرعيا وعقليا، وإنما دعت إليه دواع كثيرة[40] منها:

1- أن القرآن الكريم إنما أنزله الله تعالى لهداية البشر في كل زمان وفي كل مكان، ومشكلات الناس تختلف باختلاف عاداتهم وتقاليدهم وبيئاتهم التي يعيشون فيها ، فكل قوم وصلهم دين الإسلام وجب عليهم النظر في هذا القرآن الذي هو منهج حياتهم وسبيل رقيهم، والنظر مختلف باختلاف الحاجات العائدة إلى سبيل الهداية ولا شك أن هذا سبيل من سبل الرقي في التفسير والتنوع في الإفادة من القرآن الكريم بما تقوم به حياة الناس المختلفة ولا شك أن هذا يمثل نوعا من التجديد.

2- حض القرآن الكريم في ثناياه على السير في الأرض والنظر في آثار المهلكين من جهة، وكذا النظر في آثار رحمة الله تعالى بعباده، ولا شك أن المهلكين متنوعين والنعم متنوعة، والاعتبار بهذا وذاك يختلف باختلاف حال المعتبر المتدبر، فكل يعتبر ويتدبر ويتذكر ويتفكر بحسب ما أوتي من الطاقات والقوى والقدر ولا شك أن في هذا اختلافا بينا بين الناس وفي هذا نمط من التجديد بين معتبر وآخر، إذ لا يلزم عليه أن تكون العبرة واحدة والاتعاظ بها سبيل واحد كذلك.

3- حث القرآن الكريم على التعقل والتدبر والتفكر في غير ما موضع من الآيات الكريمة، وفي سور عديدة، فإذا كان المقصود هو الوقوف عند أقوال السابقين وعدم الزيادة عليها فلأي معنى يكون تنوع الحض على التدبر والتفكر والتعقل؟

4- إن القرآن الكريم يريد أمة حية متحركة واعية قادرة على النهوض بأعباء الدعوة إلى دين الإسلام. هذا الدين الذي يأبى على أهله أن يكونوا كسالى نائمين. فيحفزهم دائما إلى أن يكونوا إلى النهوض والعمل سباقين.

5- إن ما في القرآن من الحوافز الدافعة إلى إعادة قراءته مرة تلو المرة لأكبر الأدلة على الدعوة إلى التجديد في الفهم لان القرآن دافع إلى الرقي فإذا كانت القراءة المتوالية لا تنتج منها راقيا عن الفهم السابق فكأنها لم تكن! وهذا ولا ريب من حوافز التجديد والدعوة إليه في كتاب الله تعالى.

6- إن الاختلافات بين المفسرين ناشئة عن القراءة من جهة أو الاختلاف في معنى الكلمة وهي قليلة التي مردها إلى ذلك، وجل الاختلافات بين المفسرين هي اختلافات في الرأي ولا شك أن هذا ناشئ عن الاجتهاد في التفسير، والاجتهاد مدعاة للتجديد بلا أدنى شك.

المطلب الثاني ـ أقوال العلماء في التجديد في التفسير القرآني:

يتّضح من حديث التجديد المذكور أنّه لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً، فقد يكون واحدا أو أكثر ؛لأنّ لفظة (مَنْ) تأتي بمعنى الواحد والجمع، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث: الفقهاء خاصة، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعاً عامَّاً في أمور الدين، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضاً كثير مثل أولي الأمر، وأصحاب الحديث، والقُرَّاء، وأصحاب الطبقات من الزّهاد[41]

فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعةٍ من الأكابر المشهورين على رأس كل مائةِ سَنَةٍ يجدَّدون للناس دِينَهم، ويحفظون مذاهبهم التي قلّدوا فيها مجتهديهم وأئمتهم.

فاختلاف العلماء قديما وحديثا حول المجددين حيث أسهبوا في هذا الجانب، ولكن بعد تفحّص لأقوالهم يتبين لنا أنّ الرّأي القائل بتعدّد المجدّدين في العصر الواحد يبدو أقرب للقبول؛ لأنّه لا يمكن الادّعاء أنّ واحدًا فقط في أيّ عصر من العصور قد تمتّع بمؤهّلات فريدة لا يشاركه فيها غيره.

كما لا يمكن الادّعاء أنّ واحدًا فقط في أيّ عصر من العصور قد عمّ تجديده جميع مجالات الدّين، مع حاجة الدّين إلى التّجديد في أكثر من مجال [42]، وإن كان من ناحية أخرى لا نظنّ أنّ عدد المجدّدين في كلّ قرن يصل إلى ذلك العدد الكثير الذي أحصاه ابن الأثير[43]

المطلب الثالث ـ أهم اتجاهات التجديد في التفسير في العصر الحديث[44]

لقد كان تفسير المنار تتويجا عمليا لمقالات سابقة حملت هموم مصلحين ثائرين انتبهوا إلى البعد الحاصل بين النص وتفسيره، وعدم قدرة التفسير على الوفاء بحاجات الواقع، وفقدانه لوظيفة التوجيه التي نزل الوحي من أجلها، ونذكر من هؤلاء المصلحين، جمال الدين الأفغاني، وعبد الرحمن الكواكبي، وغيرهما ممن استنفر العقول من أجل النهضة والإصلاح، فجاء المنار مكملا علميا مؤسسا لأركان التفسير المطلوب، حيث فتح بابا واسعة المنفذ للاجتهاد المشروع ولجه جهابذة من المجددين الأكفاء، أمثال عبد الحميد بن باديس وأمين الخولي وسيد قطب ومحمود شلتوت وعائشة عبد الرحمن وغيرهم.

إلا أن أبوابا أخرى فتحت أيضا زمن محمد عبده، انطلق والجوها مما انطلق منه، وتاهوا بعد ذلك في أيديولوجيات أبعدتهم عن الهدف وزاغت بهم عن السكة، فانقادوا إلى شذوذ ظاهر في التفسير وأعمال مردودة في قراءة النص القرآني، ومقابل هذا التيار برز تيار غيره نقيض له، جعل الاجتهاد مقتصرا على إحياء القول المأثور، فلم يتخلص منهجه من قيود التقليد وإعاقة الجمود.

والمعتبر ما ذهب إليه محمد عبده وتلامذته من اجتهاد وتجديد ومن سار حذوهم إلى اليوم، وهؤلاء نهلوا، جميعهم، من معين المنار وإشارات محمد عبده فيه، إلا أنهم أبانوا عن منهج جديد في التفسير مخلص من معوقات التفاسير السابقة وغني بالمسالك القاصدة إلى كشف الوجه الحضاري للقرآن الكريم، من ذلك الاتجاهات الاجتماعية والأدبية والسنية والذوقية البلاغية وغير ذلك، مما أولاه محمد عبده اهتمامه في المنار محكوما بالاتجاه المقاصدي العام والهدائي اللذان نوجزهما وباقي سمات التفاسير ذات الطابع التجديدي مقرونة برجالاتها فيما يلي:

1- **الاتجاه الهدائـــــي**: بعد أن نقل محمد عبده استنكار رواد الإصلاح لطرائق القدماء في التفسير، غدا في تفسير (المنار) يناهض علميا ما ظنوه فاسدا من أعمالهم ومسالكهم، بل وصار يشدد على الالتزام بمقصد الهدائية التي نزل الوحي من أجلها. فكان مهتما بحلّ الألفاظ، مع التركيز على العبارات، والوقوف عند الإشارات، وكذا إعراب الجمل، إلى غير ذلك، وكان يرى بأن التفسير الحقيقي هو الذي يجذب الأرواح إليه، ويسوقها سوقا إلى العمل والهداية المودعة في الكلام؛ لكي يتحقق فيه قوله للبشرية جمعاء هدى ورحمة، وغيرها من الأوصاف التي جاء بها[45] ووفق هذا

المنهج الذي سلكه محمد عبده تبعه وسار عليه رشيد رضا في تفسير المنار عمليا[46] وزكته طروحاته في غيره نظريا[47]، وكان هذا المنهج مسلكا لجلّ المفسرين المجددين بعد صاحبي المنار، كسيد قطب، حيث كان تفسيره على خطى فكرة الهدائية، بل وفي أدق تفاصيله، فامتاز تفسيره بتجنب الإسهاب في البيان، كما وظف ملكاته الأدبية والذوقية في التنبيه على الإيحاءات الخفية للنصوص؛ من أجل استخراج المدلولات الضمنية التي تقع خلف الصورة والتركيب والسياق والمعاني، لوعيه الفائق أن المجاز والإشارة والكناية وغيرها من آليات البلاغة والبيان لا بد أن يخدم مقاصد هدائية وتوجيهية، يسعى سيد قطب إلى كشفها. كما اتبع عبد الحميد بن باديس في تفسيره (مجالس التذكير) منهجا يركز على مبدأ الهداية، مستلهما الواقع الجزائري المتردي في ظل الاحتلال الفرنسي، حيث سلط الضوء على المعاني الهدائية للآيات القرآنية التي تحمل في طياتها الحلول والهداية[48]، وفي عموم تفاسير المجددين بعد محمد عبده كانت الهدائية هي القاسم المشترك والمنطلق الرئيسي، حيث دارت حولها مختلف التفاسير والاتجاهات، مع وجود بعض التباين في التعامل مع هذا المبدأ[49].

2- **الاتجاه المقاصـــــدي:** يرتبط هذا الاتجاه ارتباطا وثيقا بفكرة الهدائية، حيث يسعى المفسر إلى تحقيق مراد الشارع من خلال فهم الآيات في ضوء مقاصد الشريعة، ويتم ذلك من خلال تقليب الألفاظ، والانتقال بين التفسير والتأويل، فلا بد للفهم في القرآن الكريم من مراعاة الغايات والمصالح التي وضعت الشريعة لأجلها. ومن خلال المنار نشر محمد عبده فكرة ربط مقاصد القرآن الكريم بالمقصد العام وهو تحقيق سعادة الدارين، مما يعكس أهمية المقاصد في التفسير القرآني[50]

حيث يؤكد محمد عبده على أهمية انسجام الألفاظ مع السياق القرآني وقصد الشارع الحكيم[51] ؛ لتحقيق المعنى الصحيح، فقد برز عدد من المجددين في هذا، فقد تفوق الطاهر ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) على غيره من المفسرين، حيث قدم منهجا مبتكرا لضبط عملية الفهم عند المفسر، وذلك بإعمال الأدوات المقاصدية، مع استحضار البعد المقاصدي في عملية التفسير، ويتبنى هذا المفسر نهجا يدمج بين فهم السياق الجزئي والمقاصد الإجمالية للقرآن الكريم؛ مما يتيح له كشف المعاني العميقة للنص[52]. وقد نجح ابن عاشور في تحويل قواعد الفكر المقاصدي إلى روح تسري في التفسير القرآني، فأصبحت هذه القواعد تنطلق بالهداية الربانية، وتكشف عن خبايا المعاني.

3- **الاتجاه الاجتماعـــــي:** أصبح المجددون في العصر الحديث يدركون أهمية ربط المجتمع الإسلامي بمقاصد الشريعة مما جعلهم يسلطون الضوء على الآيات التي تحمل مضامين اجتماعية مهمة. فقد سعى المفسرون إلى شق طريق وسط في التفسير الاجتماعي، يبتعد عن الجمود والتقليد، ويحذر من التحرر المطلق الذي يهدد القيم الاجتماعية، وكان الهم الاجتماعي لرواد المنار هو محركا للإصلاح، وقد تبنت تفاسير لاحقة هذا التوجه في قراءتها للنصوص القرآنية بهدف إصلاح المجتمع.

حيث نجد في (مجالس التذكير) أنموذجا للتفسير الذي عالج القضايا الاجتماعية في المجتمع الجزائري، حيث ركز على معالجة القضايا الغالبة في ذلك الوقت، من خلال التركيز على الآيات ذات الصلة بالمجال الاجتماعي، مما ساهم في تقديم رؤية واضحة المعالم حول كيفية التعامل مع هذه القضايا التي يعاني منها المجتمع، والتركيز على التعليم وحفظ الهوية والاهتمام باللغة وغير ذلك.

كما تميز تفسير (في ظلال القرآن) بإضفاء حس اجتماعي قوي من خلال تكرار المصطلحات الاجتماعية، مثل: المجتمع، والجماعة، والأمة، مما يعكس اهتمام المفسر بالقضايا الاجتماعية، حيث تميز تفسير سيد قطب بعقده لمقارنات بين المجتمعات الإسلامية، والمجتمعات الجاهلية، مما يساعد على فهم الرؤية الاجتماعية للقرآن [53] وبشكل عام يرى سيد قطب أن القرآن يهدف إلى بناء الأمة على أساس أمانة الدين والالتزام بمنهج الله في الحياة، مما يعكس رؤية شاملة للبناء الاجتماعي [54]

كما يظهر تفسير محمود شلتوت (تفسير القرآن الكريم) اهتماما كبيرا بالقضايا الاجتماعية، حيث تبرز العناوين الكبرى للموضوعات أهمية هذه القضايا في فهم القرآن الكريم، حيث تشمل هذه العناوين عدة مواضيع، مثل: تكافل الأمة، وحقوق اليتامى، وعلاقة الوصي باليتيم، وحقوق النساء، ونظام الأسرة، والنظم الرأسمالية، مما يعكس اهتمام المفسر بالقضايا الاجتماعية المعاصرة [55]

4- **الاتجاه السنني :** وكما أن هم الإصلاح دافع إلى ظهور توجهات تفسيرية جديدة، فقد أدى أيضا إلى التركيز على السنن الربانية في النص القرآني، والتي تعتبر جانبا مهما من التجاه الاجتماعي، ومن خلال فهم هذه السنن الربانية في القرآن، يمكن للأمة أن تتعامل مع قضاياها ومشاكلها بطريقة بناءة، وتحقق التطور والنهضة، ومن ثم فإن دعوة التجديد قد حملت على السابقين تغيبهم لهذا الغنى في النص القرآني، كما اتهمتهم بالقصور فهمهم للآيات ذات التوجيه السنني [56]

فيرى رشيد رضا شأنه شأن شيخه، أن الآيات القرآنية تشير إلى حقيقة أن الأمم والشعوب تخضع لقوانين وسنن ربانية ثابتة، تحكم تفاعلاتها وتوجيهاتها[57] كما لا يفوت المفسر أي فرصة لاستخراج السنن الربانية من نصوص القرآن الكريم، والترجيح بينها؛ لكي يصل إلى فهم أعمق للنص القرآني، وقد أصبح هذا الاتجاه الذي يركز على السنن الإلهية في كتاب الله، سمة مميزة للمفسرين المعاصرين، الذين يهدفون إلى تقديم رؤية شاملة ومتوازنة للقضايا الاجتماعية السياسية.

5- **الاتجاه الأدبي والبلاغـــــي الذوقـــي**: تمكن المفسرون بفضل التجديد في تفسير العصر الحديث من تقديم تفسيرات أكثر وضوحا وسهولة، بعيدا عن الجفاف والتعقيد الذي كان سائدا في السابق، وقد ساهم تخليص التفسير من تلك التعقيدات الصرفية في جعل التفسير أكثر وضوحا وسهولة، ومكن الباحثين من فهم النص القرآني بطرق أكثر بساطة، ويعد تفسير المنار مرجعا مهما للمفسرين الذين يتبنون الاتجاه الأدبي، بكونه يجمع بين دلالات الألفاظ في مختلف مستوياتها؛ لخدمة الفهم العميق للنص القرآني، بحيث يتميز المفسر بكونه يربط بين المستويات المختلفة للآية، مع التركيز على العلاقة بين الدلالة والبلاغة والنحو[58]. حيث يؤكد هذا الاتجاه أن القرآن الكريم، بفضل إعجازه اللغوي فتح آفاق واسعة للفهم؛ لغنى دلالات ألفاظه.

وتجدر الإشارة إلى أن الاتجاه الأدبي كما هو موضح في المنار، يركز على جانبي رئيسين مهمين في التفسير، وهما جانب التفسير الموضوعي، والجانب البلاغي، فالأول يهتم بدراسة دلالات الألفاظ المشتركة في القرآن الكري، وفهم السياق العام للآيات، ويشمل فهم الآيات في ضوء السياقات القرآنية الشاملة، ودراسة العلاقات بين الآيات والسور، حيث يبرز هذا المنحى عند محمد عبده ورشيد رضا، وعند المراغي[59] ، ويتمثل الجانب الثاني في دراسة الجوانب البلاغية، والصور الفنية في كتاب الله تعالى، وهو ما أكد عليه رواد المنار[60] وهنا يجب التمييز بين مدرستين مختلفتين في الاتجاه الأدبي، إذ أن لكل منهما منهجها الخاص بها في التفسير، فتتمثل المدرسة الأولى بتبني المنهج البياني في التفسير، وقد برز فيها أمين الخولي بنت الشاطئ، بشكل كبير، وتتمثل المدرسة الثانية وهي مدرسة التذوق الأدبي التي برزت في تفسير سيد قطب، حيث قدم رؤية أدبية وذوقية للنص القرآني.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال حصر الاتجاه الأدبي في هذين النموذجين فقط، بل إن هذا الاتجاه يعد ميزة أساسية، والتزاما ضروريا اتبعه العديد من المفسرين المجددين

في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، ومن أبرزهم الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، الذي قدم رؤية أدبية وبيانية متكاملة للنص القرآني.

6- الاتجاه العلمـــــي والعقلانـــــي: ويمثل هذا الاتجاه بشكل واضح في أعمال جوهري طنطاوي، بخاصة في تفسيره (الجواهر) حيث قدم فيه رؤية أدبية وبيانية للنص القرآني، كما نجد مجلة المنار بشكل عام قد احتوت على عناصر من هذا الاتجاه في تفسير كتاب الله تعالى، مما يعكس تنوعا في المنهج التفسيري، في وقت كانت فيه القوة والهيمنة الثقافية للغرب، مما جعل هذا الاتجاه التفسيري يبدو منطقيا وضروريا؛ لمواكبة التطورات، فمن خلال هذا النمط من التفاسير سعى المفسرون إلى خلق نهضة علمية داخلية تستطيع أن تواكب التطورات، وتحقق التقدم والنهضة، وبلا شك أن كل الدوافع كانت متوافرة لظهور هذا الاتجاه وتطوره، فالقرآن الكريم يحفز ويدعو إلى استخراج القوة والعلوم الكامنة في نصوصه، أو البحث عنها في النفس الإنسانية والآفاق الكونية[61]

وفي الواقع وجد جزء من هذا الاتجاه نفسه في ارتباك علمي، على الرغم من كونه انعكاسا لطبيعة العصر، مما أدى إلى انحرافه عن أهدافه الأساسية، فنجد طنطاوي جوهري في تفسيره [62]، فقد تعرض لانتقادات مشابهة لما واجهه غيره من المفسرين في هذا الاتجاه، الأمر الذي أثار سخط الكثير من العلماء في عصره، ومن بعدهم، وهو نفس الاتجاه الذي سلكه محمد عبده في تفسيره لبعض القضايا، مثل: الطير الأبابيل، والملائكة، وإبليس[63] ، حيث خالف مذهب السلف فيها[64] والذي يظهر بأن المنهج العقلاني والعلمي في التفسير بدأ يستقر على المسار الصحيح، وذلك بعد أن تخطى مرحلة الاندفاع والتسرع، واتجه نحو التثبت والتدقيق، فتمكنت غالبية التفاسير من تقديم رؤية جديدة لنصوص القرآن الكريم، واكتشاف مدلولات تتفق مع الحقائق العلمية الراسخة في العصر الحديث، فأصبحت هذه الحقائق أكثر وضوحا وقربا لعقول الناس، وأسهمت في تعميق الفهم للنص القرآني، فازدادت معاني الآيات وضوحا، وازداد يقين الناس بأن القرآن الكريم هو كتاب معجز، لا تنقضي عجائبه، ولا تروى غرائبه.

7- **الاتجاه العلمانـــــي:** تهدف الاتجاهات السابقة إلى تحقيق الهداية القرآنية في نفوس الأفراد والمجتمعات، استنادا إلى أن القرآن الكريم هو رحمة شاملة للعالمين، وإنما يتمثل دور المفسر في مساعدة الناس على فهم التصور القرآني؛ لكي يحقق لهم

الصلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، إلا أن التجاه العلماني، على العكس من ذلك تماما، حيث يسعى إلى نزع المحتوى الروحي من القرآن الكريم، وتحويله إلى نص إنساني يمكن نقده وتفسيره وفقا للمعايير البشرية[65] ، كما يهدف هذا الاتجاه إلى رفض كل الأقوال المأثورة، معتبرا أن التراث يقف حائلا دون الفهم الصحيح، سواء كان ذلك متعلقا بأئمة المسلمين أو غيرهم ممن أضافوا أبعادا ميتافيزيقية للنص القرآني[66] ، أو احتكروا فهمه، ولا يزال هذا الاتجاه حتى يومنا أسيرا لبعض الميول المتعصبة، ولتلك الأيديولوجيات الغريبة، المستندة إلى مفاهيم الحداثة والليبرالية، التي غيرت من مقاصد بعض النصوص القرآنية، فأدت هذه المفاهيم المغلوطة إلى زعزعة الكثير من الثوابت القرآنية والنبوية، نتيجة لضعف التكوين الديني، أو هيمنة تلك الأيديولوجيات على المفسرين[67] ، وما كان هذا ليتأتى لهؤلاء لولا غياب القواعد العلمية الراسخة، التي تجمع بين فوائد العلوم، والمناهج المختلفة، وتضيف إليها ما يعزز فهم معاني القرآن، ويضبط عملية الاستنباط والتجديد بشكل دقيق.

نتائج البحث:

من خلال ما تقدم توصلتُ إلى بعض النتائج، منها:

1- أنَّ التجديد لا يراد به التضييع لمعالم التفسير الحقيقي وهدم القديم، بدعوى التجديد؛ لذا كان من الضرورة وضع الضوابط والاحترازات؛ للتعامل مع كتاب الله تعالى لما له من خصوصية التقديس والتعظيم.

2- أن التجديد لا يعني تغيير حقائق الدِّين، ولا يعني الإتيان على نصوص الشرع بالتحريف والوضع، ولا يعني الإتيان بالجديد في الدِّين ولا الابتداع فيه، بل يكون بمعرفة الثابت والمتغير، وتنزيل أحوالهما، مع مراعاة الأحوال فيه.

3- حاجة المجتمعات الإسلامية إلى التجديد الصحيح المنضبط، وهو مطلب في كل العلوم، وأولى به العلوم الشرعية والدراسات القرآنية، وبخاصة التفسير القرآني، لما يلاحظ من مظاهر الخلل في تديُّن كثيرٍ من النَّاس، سواء كان بالتساهل في الدِّين أو التشدُّد فيه، وهذا بخلاف التجديد.

4- يجب على المجدد في التفسير أن يكون ملما بأصول التفسير وقواعده، وأن يحرر معاني الآيات المستعملة في عصر نزوله، وعند السلف، وأن يحذر من تأثير المفاهيم المحرفة؛ ليتمكن من معرفة مجالات التجديد وحدوده وضوابطه.

5- إدراك العلوم المعاصرة، حيث تلعب دورًا مهما في دفع عجلة التجديد إلى الأمام وبشكل فعال؛ لأنه يؤدّي إلى تطـــوير الفكر والتجديد، وتحسين الفهم والتفسير لدى المجددين.

الهوامـــــــــــــش:

- القرآن الكريم

1 أبو داود، سنن أبي داود، تحقيـق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.، كتاب: الملاحم، برقم (3740). أبو عمرو الداني، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، تحقيق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الطبعة الأولى، دار العاصمة - الرياض، 1416هـ.1/ 45، الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، 1411هـ - 1990م.، 4/ 522، البيهقي، معرفة السُّنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، 1412هـ - 1991م. ، ص: 52، وصحَّحه الألباني في سلسلته برقم 599، 2/ 150. وقال العلقمي في "شرح الجامع الصغير": "اتفق الحُفَّاظ على أنه حديث صحيح". وقال ابن القيم: "وممن نص على صحته من المتأخرين أبو الفضل العراقي وابن حجر، ومن المتقدمين الحاكم في "المستدرك" والبيهقي في "المدخل". وينظر: العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ.، أول كتاب الملاحم، 11/ 385.

2/ سورة آل عمران، من الآية: 140.

3 / سورة سيدنا محمد -، من الآية: 38.

4 / سورة البقرة، من الآية: 251.

5 / ينظر: ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر - بيروت، 1414 هـ. ، 3/ 108 وما بعدها، أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420هـ - 1999م. ص: 40، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.، 1/ 245،244.

6 / سورة الجن، من الآية: 3.

7/ ابن كثير، تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، 1419 هـ.، 251/8.

8/ ينظر: بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدِّين، الطبعة الأولى، دار الدعوة، الكويت، 1405هـ-1984م.، ص: 14 - 15.

9/ رواه أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، رقم (4291)، 313/4.

10 / ينظر: عدنان أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض. ، ص: 19،20.

11/ ينظر: المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، 1356هـ.، 1 / 14.

12 / ينظر: المصدر نفسه، 357/2.

13 / ينظر: عون المعبود، شرح سنن أبي داوود، 391/11.

14 / ينظر: إبراهيم عبد الفتاح محجوب محمد، حسن الترابي وفساد نظرية تطوير الدين، بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع، القاهرة، 1995م. ، ص: 53 .

15 / أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، الطبعة الثانية، دار الفكر الحديث، لبنان.، ص: 12،13.
16/ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - 1414هـ.، 13/1.
17/ ينظر: يحيى شطناوي، التجديد في التفسير، بحث منشور في مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث مجلد 6، عدد الثالث والعشرون، 1431 هـ.
18 / ينظر: جمال أبو حسان، التجديد في التفسير مادة ومنهاجاً، ص: 5.
19/ ينظر: ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت - لبنان، 1408هـ - 1988م.، 39/1.
20 / ينظر: محمد بن فضل الله المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت. ، 13/ 346.
21 / أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ص: 55.
22 / ينظر: وهبة الزحيلي، تجديد الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق.، ص: 188.
23 / ينظر: عدنان أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، ص: 48.
24 / ينظر: بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، ص: 36.
25 / السيوطي، التنبئة فيمن يبعثه الله على رأس المائة، تحقيق: عبدالحميد شانوحة، دار الثقة للنشر والتوزيع، الأردن.
26 / ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974م.، 1/ 214، وينظر: حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 1/ 189 – 191.
27/ سورة البقرة، من الآية: 282.
28/ ينظر: جمال أبو حسان، التجديد في التفسير مادة ومنهاجاً، ص: 9.
29/ ينظر: فلوة بنت ناصر الراشد، التجديد في التفسير ضوابطه ومجالاته، ص:9.
30 / ينظر: محمد حسن أبو النجا، التجديد في التفسير حقيقته وضوابطه ومجالاته، العدد الخامس والعشرون، يونيو، 2021م, ص: 109،110.
31 / أخرجه ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 75/1.
32/ ينظر: محمد حسن أبو النجا، التجديد في التفسير حقيقته وضوابطه ومجالاته، ص: 110.
33 / ينظر: الشاهد البوشيخي، نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المديمة المنورة.، ص:1.
34 / ينظر: مساعد الطيار، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، دار المحدث، 1425هـ - 2004م.، ص: 231.
35/ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 158/3.
36/ ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.، 7/1.
37 / ينظر: محمد حسن أبو النجا، التجديد في التفسير حقيقته وضوابطه ومجالاته، ص: 135، 136.
38 / ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، الطبعة الرابعة، دار القلم، 1426هـ - 2005م.، ص: 11.
39/ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 105/1.
40/ ينظر: جمال أبو حسان التجديد في التفسير مادة ومنهاجاً، ص: 10-13.
41 / ينظر: ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق: بشير عيون، الطبعة الأولى، مكتبة الحلواني- مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان.، 11/ 321- 322.
42/ ينظر: ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس، تحقيق: عبد الله محمد الكندري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، 1429هـ - 2008م.ص: 48.

43/ ينظر: بسطامي محمد سعيد. مفهوم تجديد الدين، ص: 48.
44/ ينظر: مونية الطراز، التجديد في التفسير في العصر الحدي؛ منطلقاته وأهم اتجاهاته، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، 2017/11/13م.
45/ ينظر: تفسير المنار،25/1.
46/ ينظر: المصدر نفسه، 16/1.
47/ ينظر: محمد رشيد رضا، مقدمة الوحي المحمدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1426هـ - 2005م..
48/ كانت مجلة الشهاب التي أصدرها منصبة أساسيا إلى جانب مشروع مجالس التذكير بالمسجد على إشاعة هدى القرآن في نفوس الناس. ينظر: مصطفى محمد حميداتو، كتاب الأمة: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1418هـ - 1997م.، ص: 172.
49/ ينظر: أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، الطبعة الأولى، دار المعرفة، 1961م. ، ص: 202-203، وينظر: عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، الطبعة السابعة، دار المعارف - القاهرة. 9/1.
50/ ينظر: رشيد رضا، المنار، 25/1.
51/ ينظر: المصدر نفسه، 22/1.
52/ ينظر: ابن عاشــور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م. ، المقدمة الرابعة: 42/1.
53/ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة السابعة عشر، دار الشروق، بيروت- القاهرة، 1412هـ.المقدمة، 11/1، وينظر: 3563/6.
54/ ينظر: المصدر نفسه، 3553/6،3552.
55/ ينظر: محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، الطبعة الثانية عشر، دار الشروق، القاهرة، 1424هـ - 2004م.، ص: 182، 183.
56/ ينظر: رشيد رضا، المنار، 243/12.
57/ ينظر: المصدر نفسه، 140/4.
58/ ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 376/6
59/ ينظر: المراغي، تفسير المراغي، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1365هـ - 1946م.119/4.
60/ ينظر: تفسير المنار، 137/6.
61/ ينظر: محمد متولي الشعراوي، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، 78/2،77. وينظر: تفسير المراغي، 26/3،25.
62/ ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ - 2000م.ص: 382.
63/ ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، 268/1،267 و311/7.
64/ صنف الذهبي تفسير المنار ضمن التفاسير المتطرفة. ينظر: حسين الذهبي، لتفسير والمفسرون، 625/2-627. ونعته فهد الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة، مؤسسة الرسالة، 1403هـ - 1983م. المنهج المنحرف. وينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة، 255/1.
65/ ينظر: نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، مؤسسة هنداوي، 2024م. ، ص: 175،174.
66/ ينظر: محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2001م. ، ص: 72.
67/ ينظر: انظر: محمد شحرور، الكتاب والقرآن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية - دمشق.، ذكر مثالا في شرحه لقوله - تعالى- : (وكل شيء في كتاب)، ص: 52.